تنظيم القاعدة في جزيرة العرب والاستراتيجية الواعدة

بقلم الأخ / جهاد صالح

البتار

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد،
حتى نصل إلى فهم يحسن تشخيص الوضع في أرض اليمن، ويمكنه تحديد المسلك الأسلم للخروج من الأزمة هناك، علينا أن نرجع خطوات لتاريخ هذه المنطقة القريب وننظر في التغيرات الجيوسياسية التي أثرت في مكونات الصراع داخله ثم القوى اللاعبة فيه وأجنداتها، لننتهي بتقييم الاستراتيجية الأنجع والأطول أمدا التي ستحسم الصراع لصالح أهداف العاملين عليها ومعتقداتهم.

نظرة للخلف

وحين ننظر قليلا إلى الوراء نجد أن ثورة الشعب اليمني على علي عبد الله صالح لم تنفجر من فراغ، بل كانت نتاج الظلم والتعاسة والحرمان الذي عاشه اليمنيون في ظل حكم قمعي استبدادي عميل للغرب، كمثل غيره من أنظمة طاغوتية ثارت عليها الشعوب في البلاد القريبة الأخرى.
وحين تفاجأ علي عبد الله صالح بثورة اليمنين ودرجة اشتعال الغضب في قلوبهم بشكل لا يمكنه أن يساومهم عليه أو يهدأ من مصابهم أو أن يستغفلهم مرة أخرى، وجد نفسه مضطرا للتنازل لعبد ربه منصور هادي، استجابة لطلبات المجتمع الدولي الذي حاول بشكل سريع احتواء الثورة التي هددت منطقة من أهم مناطق المصالح الغربية في العالم الإسلامي. ولا شك أن الهدف الأول للمجتمع الدولي على رأسه أمريكا في محاولة الاحتواء هذه، هو أن لا تصبح ساحة اليمن أرضية خصبة لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الذي يعتبر من أخطر أفرع القاعدة ، تمكن من تنفيذ هجمات دولية وفتح معسكرات تدريب محلية واجتذاب جموع المسلمين لمشروع الجهاد العظيم برسالة إسلامية دعوية قوية.
لكن طرفا آخر لم يكن في الحسبان ، هم الحوثيون، كانوا يخططون بينما يستترون في الظل لينتهزوا الفرصة بشكل مفاجئ وغير متوقع خاصة لدى جيران اليمن، وتمكنوا من الظهور في مشهد الصراع بفضل الدعم المتواصل وغير المنقطع من إيران المتربصة بأهل السنة في كل مكان، وحتى ينجح المعسكر الرافضي في إحكام قبضته على العاصمة اليمنية صنعاء ومؤسسات الدولة المنهارة

تحالف الحوثيون مع علي عبد الله صالح "اليائس" وحزبه حزب المؤتمر الشعبي "المصلحجي" ، فنجحوا في السيطرة على صنعاء ومعظم المدن الرئيسية في اليمن. ليجد هادي نفسه مكسورا ذليلا بلا دولة ولا قوة، ففر إلى السعوديين يستنجد العون، وهم الذين احتضنوه ابتداء وأهانوه مع مر الأيام.

عاصفة الحزم

عايشنا جميعا انطلاق عاصفة الحزم تقودها حكومتي السعودية والإمارات ومن لهث خلف فتاتهم الذي يساومون به الذمم، فكانت التصريحات نارية والتهديدات غير عادية، بحجة إعادة حكومة هادي لليمن وحسم الصراع في ظرف قصير، لكن جميع تخمينات وحسابات التحالف العربي باءت بالفشل وامتدت الحرب طويلا بلا نهاية، وتضاعفت الخسائر البشرية والمادية بل تطورت المواجهة لتتفاجأ السعودية بجزء من أرضها يحتل ومراكزها تقصف والحوثي يتبجح أكثر وأكثر بصواريخ باليستية إيرانية الصنع! ما دفع بالسعودية للهرولة إلى دول الغرب تعرض الصفقات المغرية والأموال الطائلة في سبيل توسيع ترسانتها في الأسلحة وزيادة الحماية لحدودها وسمائها وأرضها. وهو ما استغله الغربيون أبشع استغلال، ووصلوا من خلاله لأفضل الأرباح.

صعب جدا تلخيص أحداث سنوات من الحرب الفاشلة في اليمن وتحليل مراحلها، لكن الخلاصة التي نتفق عليها هي أن حجم الضخ من جانب التحالف العربي وحجم الانتهاكات التي تعمدوها والجرائم اللاأخلاقية التي قتلت الأطفال والنساء قبل الرجال - التي اقترفوها-، كلها أكدت أن قيادة التحالف هذه كانت متهورة غير كفؤة ولا مؤهلة لقيادة حرب. وأنها فشلت في انتشال الساحة اليمنية من عبث الحوثيين كما فشلت في وضع حد لاقتتال ومآسي لم تزل مستمرة إلى اليوم. وكان أكبر خاسر وضحية في هذه الحرب، الشعب اليمني الذي خسر من أبنائه بالقصوفات العشوائية أو المتعمدة الحمقاء ما لم يكن يخطر بباله حين انطلقت عاصفة الحزم (الخائبة)، ثم اصطدامه بحقيقة القوات الإماراتية التي بالغت في العدوان على الشعب اليمني وأضحت سجونها تضج بالمختطفين دون أي متابعة قانونية أو حقوق، ولم يجد الشعب المسكين غير الشوارع يصب فيها غضبه واستنكاره ويرفع فيها لافتات تندد بهذا الظلم. لكنها للأسف لم تقدم ولم تأخر أمام هذا الإجرام.

علي صالح يدفع الثمن

وفي الوقت الذي بدأت تتقرب فيه الحكومة السعودية من علي عبد الله صالح - وتستكين- لعلها تحقق معه صفقة خيانة منه للحوثي، تفطن الأخير وقدمه قربانا سريعا بقتله، فقد أدرك الحوثي خطر علي صالح الذي ينوي التحالف مع السعودية أو ربما تحالف وانقلب على تحالفه السابق مع الحوثي في وقت يخوض جنودهم حربا ضروس مع السعودية والإمارات، فكان مقتله الدرامي، مفاجأة للسعودية أكثر من أي طرف آخر.

تمدد الإمارات

لم يقف المشهد على التحالف العربي وميليشيات شعبية تسانده ولا الحوثيين وميليشيات حزب صالح ، بل تعقد أكثر بظهور قوات الحزام الأمني والنخب الشبوانية والحضرمية وقوات شرطة عدن وهي مستقلة تحت مظلة الإمارات تصول وتجول دون رقيب أو حسيب ، أعمالها تصب في صالح أجندة الإمارات السوداء في اليمن.
وقد تمكنت من السيطرة على عدن والمراكز الحساسة كالموانئ وقيادة حملات تسمى أمنية وهي قمعية عدوانية إجرامية.. دون أن ننسى دفعها لملف الانفصال الجنوبي، ويبدو من تحركات هذه الميليشيات أن الهدف من نشاطها هو فرض رؤية الإمارات لمستقبل اليمن ونهبه واحتلاله والتنكيل بشعبه بغض النظر عن رأي اليمنيين في الأمر، والأدلة في ذلك كثيرة منها منع هادي من الدخول إلى عدن وإهانته بسوء معاملة فضلا عن جرائم الإمارات بحق الشعب اليمني وسرقاتها لثروات بلاده وآخرها كانت قضية جزيرة سقطرى.

لاعب أساسي

ومع هؤلاء يبقى لاعب أساسي، أتقن فن اللعب مع الخصوم والأعداء، ولا يزال يصنف الأخطر في سلم الأخطار الدولية، هو تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب.
والذي تمكن من الذوبان والاختفاء بشكل مثير للاهتمام بعد ظهور لفت أنظار جميع العدسات العالمية، لا نتحدث عن ذوبان ضعف

بل ذوبان استراتيجي، فقد اختفى التنظيم بجميع قواه وقدراته وأسلحته وجنوده، ولا يظهر إلا حين يستوجب الظرف الظهور، لنصل إلى نقطة مهمة جدا ، بعد تفصيل الواقع اليمني، وتعداد اللاعبين المختلفين فيه، هي أن الاستراتيجية التي يتبعها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كانت الأحكم والأنجع في مثل هذه الظروف.

إنه تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، والذي علا نجمه حين سيطر على أبين وشبوة والمكلا حيث قدم نموذجا يحتذى به في إدارة هذه المدن وفق عبقرية شرعية وإدارية موفقة.

حيث تميز التنظيم بأبرز استراتيجية خلال هذا الصعود، تمثلت في نجاحه في إحاكم سيطرته على المراكز الأمنية والعسكرية وتحقيق السيطرة الكاملة على المدن ثم تسليم الحكم لمجلس مدني يشارك فيه اليمنيون أبناء المنطقة، في حين تولى التنظيم مهمة الحراسة والدعوة والتحريض والتدريب. فكانت هذه العبقرية في الإدارة تسمح له بالمرونة والخفة في الحركة وتوطيد العلاقة مع المجتمع المحلي وإثبات قدرته على حسن الإدارة والحماية للمدن.

واستمر عطاء التنظيم وتفانيه في خدمة المسلمين وتحقيق العدالة وتنصيب القضاء الإسلامي ورفع مستوى الحياة تحت راية التوحيد حتى تجلى له الشر المتربص به في الأفق، هنا استوجبت استراتيجية التنظيم الذكية الانتقال إلى مرحلة الانحياز، ليختفي التنظيم بكامل عدته وعتاده وكوادره وجنوده من العدوان السعودي والإماراتي والأمريكي الحاقد.

ورغم هذا الاختفاء الذي دوخ الأعداء، لم يغب التنظيم عن المعركة ضد الحوثي واستمر في توجيه ضربات قوية لهم في وقت استمر في تدريب أبناء اليمن وتحريضهم على الجهاد.

لم يقتصر دور تنظيم القاعدة في قيادة الجهاد داخل اليمن ضد جبهات متعددة بل تمكن أيضا من الضرب بأذرعه عمق الغرب فلقن فرنسا درسا في الأدب، نصرة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وأيضا تمكن من تحقيق ضربات مرعبة للأمريكان بعبقرية متجددة تلخصها مجلة إنسابير بإلهام لم يسبق له مثيل.

ومن يشاهد مشهد هذا الصراع بكل ما يحمله من تعقيدات ومفاجآت، سيدرك أن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أتقن فن اللعب مع أعداء بحجم أمريكا أو أقل حجما منها. وأن نظرته للأفق بعيدة جدا ودراسته للعواقب والمآلات قد أثبتت عبقرية عسكرية ودهاء يستحق التقدير.

الواقع اليوم أن أمريكا لا يمكنها أن تحدد أين تهاجم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، لقد أعياها وأتعبها وأنهك أجهزتها خاصة بعد أن وجدت أريحية في استهداف جنوده وقاداته في مرحلة سابقة حين كان التنظيم ظاهرا، وظنت أنها قضت عليه وأنهت أسطورته! لكنها تفاجأت الآن بأنها فقدت الأثر وهي مدركة جيدا أنه لا زال يمتلك قوته، ولم تعد تعرف من أين تأتيها الضربة! كما انشغلت كذلك بفوضى التحالف العربي وتداعيات سياسته الفاشلة المضطربة وأطماعه الجشعة المقززة، دون أن ننسى تسجيل درجة الاستنزاف التي وقع فيها كل من الحوثي والتحالف العربي والميليشيات المحلية التابعة لأحدهما، فكانت ضربة نجاح تستحق أن يتعلم منها كل تنظيم وحركة جهادية أو ثورية، كيف تذوب فلا يتمكن عدوها من استهدافها في عمق صراع طويل الأمد، وفي ذات الوقت تحفظ جميع طاقاتها التي تفجرها في لحظة غير متوقعة ويكون الصعود كاسحا ومبشرا. فخريطة الصراع متغيرة غير ثابتة والنبيه من عرف كيف ينتهز الفرص ويحقق الانتصارات وقت ما يراه مناسبا ويوظف طاقاته بحسب ما تقتضيه مراحل الصراع، يدخر حينا ويستهلك حينا ويظهر تارة ويختفي أخرى، بشرط أن يحافظ على رصيده من القوة والمرونة. وهو تماما ما يقتضيه الوضع في صراع اليمن الطويل.

الوضع الحالي

وفي المرحلة الحالية نلاحظ تراجعا في قوة الحوثي، وهذا ليس لقوة في التحالف العربي، بل لضغط دولي على إيران ثم خدمة مقابل الملايين من الدولارات التي تدفعها آل سعود للأمريكان، كان لابد من شيء ملموس على الأرض ، فلم يعد لهم من ماء وجه يحفظونه وقد أثقلتهم الهزائم أمام فصيل مثل الحوثي! والذي بدل أن يحسموا أمره كما زعموا في ظرف قصير سجلوا اسمهم في سجل العار الدولي لجرائمهم الموثقة بحق أطفال اليمن. بسبب قصفهم الجبان والأحمق.

كذلك رأينا الاضطراب في العلاقة بين حكومة هادي المزعومة والتحالف العربي وكيف أهين رئيس هذه الحكومة وتلقى المعاملة المزرية..وسجلت العلاقة فقدان الثقة.

كل هذا في ميزان ويبقى ميزان تردي الوضع المعيشي للبلاد، وتصاعد موجات الأمراض الخطيرة والفوضى بشكل دفع الشعب اليمني للبحر والتحرك باتجاه الصومال، ومن كان ينتظر أن نشاهد لاجئين يمنيين في الصومال! بلد القرن الإفريقي الذي أصبح يبدو أكثر استقرارا وأمانا من مستنقع اليمن.

المتابع لطريقة معالجة المشكلة في اليمن يدرك تماما أن خشية السعودية من الحوثي وإيران وصلت لحد الهلوسة ولهذا فإن من مصلحة آل سعود أن يتم احتواء الحوثي ضمن حكومة ترضخ للنظام الدولي بدل أن يواصل تمرده ويحقق مطامحه بقوة السلاح، فلن نستغرب أي اتفاقيات سياسية إن ألان الحوثي الطرف للسعوديين، رغم حجم التهديدات والوعيد من الأخير اتجاه الحوثيين. فكل هذا سيتبخر في لحظة يقبل فيها الحوثي التفاوض على حل سياسي. وهذا ما تسعى له السعودية والمجتمع الدولي وتظهر ملامحه مع هجوم الحديدة الدائر.

وهذا يدفعنا إلى استنتاج أن الأمل الوحيد لاستقلالية اليمن وارتقائه هو بقاء تنظيم قاعدة الجهاد في اليمن، يحطم المخططات الماكرة والمساومات الخبيثة ويحفظ حقوق أهل السنة هناك بما يوائم معتقداتهم ومصالحهم الحياتية والأخروية. ذلك أن التحالف العربي لن يقدم أكثر من حل سياسي لليمن يبقى فيه الحوثي مبجلا، ولن يقدم الغرب لليمن أكثر من الدمار والقتل الذي تم تنفيذه بأسلحة بيعت بأعلى الأسعار لتحالف أعمى أحمق رغم حجم التوثيق لجرائمه البشعة وانتهاكاته الإنسانية، ولن يقدم هادي الذي لم يتمكن من دخول قصره وعاد خائبا سجينا في السعودية ، لا يتحرك إلا بإذن التحالف ، لن يقدم شيئا لشعب قد أنهكه الأسى والجوع والمرض.

وسيبقى تنظيم القاعدة الذي يدخر قوته – القوة الوحيدة القادرة على سد الفراغ في الساحة اليمنية– يبقى الوحيد القادر على إعطاء الشعب اليمني حقوقه بلا تمييز أو ظلم أو انتقائية.

نعم هنا يظهر لنا لماذا قررت قيادة القاعدة الاختفاء والكمون إلى حين، ذلك أنها مدركة بحكمة وبصيرة لطبيعة اللاعبين في صراع البلاد، وطول أمده وحجم المفاجآت التي تتخلله وأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالصراع العالمي، وبوضع إيران وخطط أمريكا وتنازلات التحالف العربي فضلا عن إرادة الشعب اليمني في رفضه الظلم والذي نرجو أن يثور مرة أخرى بثورة تقتلع حكم الأشرار كالتي اقتلعت صالح، وتلفظ كل عميل خائن للغرب متهالك.

إن استراتيجية تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، هي أفضل اختيار وأنسب سياسة مع متغيرات الوضع في بلاد اليمن وتعقيداته المتصلة بالصراع العالمي، ولن ندرك قيمتها إلا بعد أن نشاهد بشريات رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تتحقق بخروج جيش عدن أبين يشق ظلمات الأرض بأقدام إثني عشرة ألف، ترتج الأرض لوقعها ، فهي بشرى خاتم الأنبياء. وإنما المدد مدد اليمن!

فاللهم ثبت إخواننا في قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، وافتح على أيديهم وانصرهم وانصر بهم، ومكن لهم ورد كيد أعدائهم واشغلهم بأنفسهم عنهم.

اللهم آمين.